

# عظمة الهجرة

للاستاذ عبد الرحمن شكري



بتخذ الناس من عبر  
الحوادث مثلاً للكمال في  
الخلق وشعاراً يذكر بما  
ينبغي أن يسلكوه وما  
يجب التنزه عنه من عمل  
أو قول، ويكون لهم كاللواء  
يجمعون أمرهم حوله ،  
وكلحكمة يسترشدون  
بهذاهاورشدوا، وكالهداة  
للركب يعينهم في قافلة  
الحياة ، وكالمرش يرجمون

الى مدلوله في كل أمر حازب ، وكالمداد يستمدون على قوته وعونه .  
وكالامام يأتمون به

وقد لا يستطيع المرء في كل حال من أحوال الحياة ألا يزايل  
شماره ، فقد تخونه نفسه أو تخونه الحوادث فيسلك مسلكاً  
لا يشاكل شماره ، ولكن المرء بخير اذا لم يمزق شماره بأساً  
من أجل مجز عارض لا يلبث أن يزول ؛ والمرء بخير أيضاً مهما  
تعددت سقطاته عن شماره ومثله ما دام له مثل يأتم به في  
فعله وقوله ؛ واذا كان اتباعه له في القول أكثر من اتباعه له في  
الفعل ، فهذا أيضاً خير من ألا يكون له مثل بقده ، وله في نفسه  
أثر قل أو أكثر

وفي الهجرة النبوية لنا مثل وشعار ورمز اذا اعتبرنا بأسبابها  
وحوادثها ؛ وهو رمز ذو معنيين : معنى فيما ينبغي أن نتجنبه من  
مشابهة المشركين في اضطهاد الحق والعقيدة النفسية والفكرة  
التي تقيمت منها ، ومعنى فيما ينبغي أن نتخلق به من الانتماء بالنبي  
صلى الله عليه وسلم في ابائه مزاولة الحق وصونه ، وفي نصرته بالرغم  
من اضطهاد وضيق ، وفي الاعتماد على الله في الشدة  
ولكل من المعنيين في الحياة شواهد وأمثلة وأمور تستدعي

، معاني الروح ؛ فهي صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم  
ستاذ الإنسانية كلها ، واجبه أن يكون فضيلة حية في كل حياة ،  
أن يكون عزاء في كل فقر ، وأن يكون تهدياً في كل غنى ،  
من ثم فهو في شخصه وسيرته القانون الأدبي للجميع

وكأنه صلى الله عليه وسلم يريد ليعلم الأمة بهذه القصة أن  
الجماعات لا تصلح بالقوانين والشرائع والأمر والنهي ، ولكن  
بعمل عظماها في الأمر والنهي ، وأن الحاكم على الناس لا ينبغي  
أن يحكم إلا إذا كان في نفسه وطبيعته يحس فتنة الدنيا إحسان  
المتسلط لا الخاضع ، ليكون أول استقلاله استقلال داخله  
فليس ذلك فقراً ولا زهداً كما ترى في ظاهر القصة ،  
ولكنها جراءة النفس العظمى في تقرير حقائقها العملية

\*\*\*

وتنتهي القصة في عبارة القرآن الكريم بتسمية زوجته  
صلى الله عليه وسلم « أمهات المؤمنين » بعد أن اخترن الله ورسوله  
والدار الآخرة . وعلماء التفسير يقولون إن الله تعالى كافأهن بهذه  
التسمية ؛ وليس ذلك بشيء ولا فيه كبير معنى ، وإنما تُشعر  
هذه التسمية بمعنى دقيق هو آية من آيات الإعجاز ، فإن الزوجة  
الكاملة لا تكمل في الحياة ولا تكمل الحياة بها إلا إذا كان  
وصفها مع رجلها كوصف الأم ترى ابنها بالقلب ومعانيه لا بالفرجة  
وحظوظها . فكل حياة حينئذ ممكنة السعادة لهذه الزوجة ، وكل  
شقاء محتمل بصر ، وكل جهاد فيه لذته الطبيعية ، إذ يقوم البيت  
على الحب الذي هو الحب الخالص لا المنفعة ، وتكون زينة  
الحياة وجود الحى نفسه لا وجود المادة ، وتبنى النفس على الوفاء  
الطبيعي كوفاء الأم ، وذلك خلق لا يسر عليه في سبيل حقيقته  
أن يتقلب على الدنيا وزينتها

وآخر ما نستخرج من القصة في درس النبوة هذه الحكمة :  
يحسب المؤمن إذا دخل داره أن يجد حقيقة نفسه الطيبة  
وإن لم يجد حقيقة كسرى ولا قيصراً

عبد الرحمن شكري

(طحا)

نعتبر به في احياء ذكرى الهجرة النبوية ؛ والمعنى الثاني متصل به وهو قوة وعماد نصر ، وهو الاعتماد على الله كما في الآية الكريمة التي وردت في حديث الهجرة : ( ان الله معنا )

كنت في بعض الأحياء أزور صديقاً لي من عاده اذا أخذ شعاراً أن يكتبه في لوح كبير ويضعه أمامه ويذكر نفسه به ، وكنت أرى على جدران منزله هذه الآية الكريمة مكتوبة بخط جميل في لوح كبير ، وكان كلما دهمه أمر وكرهه خطب وأحس أنه لا يكاد يقوى على احتمالها ينظر الى هذه الآية الكريمة فيقوى بها على المصائب ، وكانت له عوناً كبيراً في الحياة ؛ وهذا من فضل احياء ذكرى الهجرة النبوية ، ومن فضل الاتمام بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وطوبى لمن يستطيع مهما نالت منه المصائب أن يقول : ( إن الله معنا ) ، وطوبى لمن روض نفسه على الحق والعدل والصدق في القول والعمل ، وتنزه عن روح الاشرار ومعناه كما تنزه عن لفظه واسمه ، وجعل عظام الهجرة شعاراً له في كل أمر من أمور الحياة ؛ بل طوبى للانسانية لو أن كل انسان أخذ بروح من تلك العظام ولم يجعل الفيرة على الحق والعدل جائل كسب لا حقيقة لها في نفسه ، ولم يجعل الفروض الخلقية مسميات يتباهى بتريديها . لقد حدثت نفسى ققلت ماذا كان يكون لو أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رجع الى هذه الحياة الدنيا كي يرى روح الحق الذي جاء به ، ولكي يقيم الحجج على الناس . هب أنه لم يذكر لهم اسمه وشاء أن يعرف كيف يلقون الحق في شخصه من غير أن يعرفهم بنفسه . إنهم كانوا يرون رجلاً دأبه الحق والصدق والقصد والعدل في القول والعمل ، وأنهم كانوا يرون رجلاً يطلب منهم كل هذه الصفات في أمور حياتهم وهو مطلب يثقل على نفوس الناس ، وهم دنيويون يريدون من الصفات ما شابهها في المظهر وخالفها في الحقيقة ، ويريدون المكسب والجاه من أي وجه وبأية وسيلة ، فاذا كانوا يصنعون لو أنهم لم يعرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يريد منهم روح الحق . أكبر الظن أن مأساة اضطهاد الأولين له كانت تتجدد ، وأكبر الظن أننا كنا نرى هجرة ثانية مثل الهجرة الأولى ، ولكنها ليست هجرة على التخصيص من مكة الى يثرب

عبد الرحمن شكري

ذكرى انا نبوية وذكري حوادثها الجليلة  
سطعنا أن نذكرها في كل أمر من أمور الحياة كان  
ذ . . خيراً من ذكرها في تاريخ واحد معين ، على ما في ذكرها  
في هذا التاريخ الواحد العين من خير وفضل وحمد  
أي الناس لا يضطهد الحق في أمور كثيرة من الأمور  
اليومية إذا كان في اضطهاده اياه كسباً ورزقاً ، أو ثناءً وحمداً ، أو راحة  
ودعة ، أو ارضاء عزيز ، أو زلني لدى كبير مسيطر محكم عليه ؛  
وحتى عند تخيل نيل الكسب غير المحقق نيله ، وعند الأمل في  
الزلني التي قد تخيب ، يضطهد الناس الحق في أمور الحياة وروحهم  
روح الشركين ولفظهم لفظ المؤمنين . ثم هم قد يمدمون حتى  
لفظ المؤمنين فلا يكون لهم من الايمان إلا اسمه . هؤلاء لم يتعظوا  
بفضلة الهجرة ، ولم يتزهدوا عن الروح التي اضطهد الشركون بها  
النبي صلى الله عليه وسلم . وأمثال هؤلاء لا ينتفعون باحياء ذكرى  
الهجرة النبوية مهما اشتغلت أبدانهم باحيائها من غير أن تشتمل  
قلوبهم بعظمتها ، ومن غير أن تنزه نفوسهم عن مشابهة الشركين  
في اضطهاد الحق

يقول السيجوني : إن كل من يضطهد الحق في أمر من أمور  
الحياة يضطهد عيسى عليه السلام ، ويعين أعداءه عليه ، ويمادي روح  
الحق الذي جاء به ؛ ونحن نقول مثل هذا القول عند ذكرى الهجرة  
النبوية وهي ذكرى اضطهاد الشركين للحق الذي جاء به النبي  
صلى الله عليه وسلم ، فنكل من يضطهد الحق في أمر من أمور  
الحياة يضطهد روح الحق الذي جاء به النبي الكريم سواء أكان  
اضطهاد الحق في أمر من أمور الحياة طمعاً في مضم أو في دعة  
أو صداقة أو زلني

وخير شائر الدين ومواسمه وأعياده وذكره وتواريخه الجليلة  
مثل تاريخ الهجرة هو في أن تحول بين المرء وبين عاده في قلب  
الفروض الخلقية الى مسميات يحسب تردها على لسانه عقيدة  
وايماناً ، وما هو بايمان اذا كان لا يحنثها ، واذا كان يشارك الشركين  
ويشابههم في اضطهاد الحق طمعاً في مضم أو دعة أو صداقة  
أو زلني ، فيمادي الصدق في القول والعمل والعدل فيهما أيضاً ،  
ويمادي الوفاء ومكارم الأخلاق ، وهو اذا عادها كان معادياً للحق  
الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو المعنى الأول الذي